

تفسير البحر المحيط

. @ 509 @

أو من النظر ، واتسع في الفعل فعدى بنفسه ، وأصله أن يتعدى بإلى ، كما قال الشاعر :
(ظاهرات الجمال والحسن ينظر % .
ن كما ينظر الأراك الأطباء .
%)

يريد : إلى الأراك ، ومعناه : تفقدنا بنظرك . وقال مجاهد : معناه فهمنا وبين لنا ، فسر
باللزام في الأصل ، وهو انظر ، لأنه يلزم من الرفق والإمهال على السائل ، والتأني به أن
يفهم بذلك . وقيل : هو من نظر البصيرة بالتفكر والتدبر فيما يصلح للمنظور فيه ، فاتسع
في الفعل أيضاً ، إذ أصله أن يتعدى بفي ، ويكون أيضاً على حذف مضاف ، أي انظر في أمرنا .
قال ابن عطية : وهذه لفظة مخرصة لتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم) ، والظاهر عندي
استدعاء نظر العين المقترن بتدبر الحال ، وهذا هو معنى : راعنا ، فبدلت للمؤمنين
اللفظة ، ليزول تعلق اليهود . انتهى . وقرأ أبي والأعمش : أنظرنا ، بقطع الهمزة وكسر
الطاء ، من الإنظار ، ومعناه : أخرنا وأمهلنا حتى نتلقى عنك . وهذه القراءة تشهد للقول
الأول في قراءة الجمهور . .

{ وَاسْمَعُوا } : أي سماع قبول وطاعة . وقيل : معناه اقبلوا . وقيل : فرغوا أسماعكم
حتى لا تحتاجوا إلى الاستعادة . وقيل : اسمعوا ما أمرتم به حتى لا ترجعوا تعودون إليه .
أكد عليهم ترك تلك الكلمة . وروي أن سعد بن معاذ سمعها منهم فقال : يا أعداء الله ،
عليكم لعنة الله ، فوالذي نفسي بيده ، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم
على (لأضرب عنقه . { وَلِلْمَلِكِافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ } : ظاهره العموم ، فيدخل
فيه اليهود . وقيل : المراد به اليهود ، أي لليهود الذين تهاونوا بالرسول وسبوه .
ولما نهى أوّلاً ، وأمر ثانياً ، وأمر بالسمع وحض عليه ، إذ في ضمنه الطاعة ، أخذ يذكر
لمن خالف أمره وكفر ، { فَلَايَحْذَرُ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ
تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } . .

{ مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ }
: ذكر المفسرون أن المسلمين قالوا لحلفائهم من اليهود : آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم
(فقالوا : وددنا لو كان خيراً مما نحن عليه فنتبعه ، فأكذبهم الله بقوله : { مَّا
يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا } ، فعلى هذا يكون المراد بأهل الكتاب : الذين بحضرة رسول

الصلّى عليه وسلم) . والظاهر ، العموم في أهل الكتاب : وهم اليهود والنصارى ، وفي
المشركين : وهم مشركو العرب وغيرهم ، ونفى بما ، ونها لنفي الحال ، فهم ملتبسون بالبغض
والكراهة أن ينزل عليكم . ومن ، في قوله : من أهل الكتاب ، تبعيضية ، فتتعلق بمحذوف ،
أي كائنين من أهل الكتاب . ومن أثبت أن من تكون لبيان الجنس قال ذلك هنا ، وبه قال
الزمخشري ، وأصحابنا لا يثبتون كونها للبيان . { وَلَا الْمُشْرِكِينَ } ، معطوف على : {
مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ } . ورأيت في كتاب لأبي إسحاق الشيرازي ، صاحب (التنبيه) ،
كلاماً يرد فيه على الشيعة ، ومن قال بمقالتهم : في أن مشروعية الرجلين في الوضوء هي
المسح ، للعطف في قوله : { وَأَرْجُلُكُمْ } ، على قوله : { بِرُؤُوسِكُمْ } ، خرج فيه
أبو إسحاق قوله : وأرجلكم بالجر ، على أنه من الخفض على الجوار ، وأن أصله النصب فخفض
عطفاً على الجوار . وأشار في ذلك الكتاب إلى أن القرآن ولسان العرب يشهدان بجواز ذلك ،
وجعل منه قوله : ولا المشركين ، في هذه الآية ، وقوله : { لَمْ يَكُنِ الْكَافِرِينَ }
كَفَرُوا مَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ } ، وأن الأصل هو الرفع
، أي ولا المشركون ، عطفاً على الذين كفروا ، وهذا حديث من قصر في العربية ، وتناول إلى
الكلام فيها بغير معرفة ، وعدل عن حمل اللفظ على معناه الصحيح وتركيبه الفصيح . ودخلت
لا في قوله : ولا المشركين ، للتأكيد ، ولو كان في غير